واجب الشعب نحو المهاجرين

لحضرة صاحب العزة محمود حسيب بك

مدير البحيرة

لما كانت حالة المهاجرين من الأحوال التي تشغل الأذهان في الوقت الحاضر طلب إلي أن أتحدث في واجب الشعب نحوها. وبما أن كلا الفريقين له حقوق وعليه واجبات بعضهم بالنسبة الى بعض، رأيت أن أوجه الكلام اليهما معا .

فغير خاف على الشعب أن المهاجرين هم الذين خرجوا من ديارهم مذعورين مخلفين وراءهم بلدا استوطنوه وأحبوه ومالا جهدوا فيه كانوا يحرصون عليه ويستبقونه، خرجوا تدفعهم المحنة القاهرة قلوبهم محطمة وأفكارهم مشتتة. هؤلاء وفدوا على قوم آمنين مطمئنين في أمن وسلام وعيشة هادئة ونعيم وكلهم أمل في أن يجدوا من إخوانهم صدورا رحبة ونفوسا طيبة وقلوبا مليئة بالعطف والحنان، فحق على هؤلاء الآمنين أن يحمل كل نفسه على التضحية والإيثار ليستطيع بكرمه أن يخفف عن أخيه في الإنسانية عادية الأقدار وليتصور حالة المهاجر إذ خرج وليس لديه وقت للتفكير في تدبير شؤونه وحزم أموره وإمعان فكره حيث دهمته الحوادث وفاجأته المحن. فإذا به يقذف بنفسه في زحام مهول هو سياق عنيف للهروب من أوهام الموت لا يكاد يحمل حاجته بل لا يكاد يصحب بنيه في ذهول الخوف وهواجس الشر. ليتخيل الآمن السالم كل ذلك وكيف ان المهاجر كان في عيشة طيبة وأمن وسعة وما الذي كان ينتظره من صادق المعونة من الغير لو وضع نفسه في مركزه — لاشك أنه لو تصور ذلك لتنازعت قلبه عاطفة الرحمة والرقة، ولتجاذب صدره شعور الرأفة والمروءة، ولغالبه البر والجود، ولخالجته النخوة والشهامة.

إننا لا نبحث عن الباعث ولا نفتش عن الدافع اذ أن الناس مختلفون في مدى تلقيهم للكارثة متباينون في ثباتهم لها. ويعود ذلك الى الحالة النفسية لكل فرد منهم والى ثقافتهم أو شؤونهم العائلية وأعبائهم الشخصية أو عملهم وطبيعة مهنهم أو حالة صحتهم ومرضهم أو أعصابهم واستعدادهم. فبعض الناس يروعهم كل شيء ويشيع في نفوسهم أهون الأمور وتثيرهم أتفه الحادثات، وبعض الناس لا يأبه إلا للجليل من الأمور والمدلهم من الخطوب، وفريق ثالث ثابت العزم لا تزعزعه الأيام ولا تنال منه الخطوب، وعلى كل فقد هاجر من هاجر ولجأ المضطرب الى الامن حق عليه إيواؤه وإكرام وفادته وقضاء حاجته وتخفيف ألمه والحدب عليه وقضاء مصلحته وإدخال السرور إلى قلبه ومواساته في وقت شدته بقدر سعته واستطاعته .

وقد تخلق السلف الصالح بكل هذه الأخلاق الكريمة فضلا عن تخلقهم بخلق الإيثار العظيم. فقد جاء رجل يشكو شدة الجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم قائلا يارسول الله إني مجهود فلم يجد عنده طعاما وطلب إلى أحد أصحابه أن يضمه فآثره ذلك الصحابي على أهله وأولاده، فلما غدا قال له صلى الله عليه وسلم مثنيا عليه وعلى زوجه (عجب الله من صنيعكما الليلة) أي رضي الله فعلكما رضى عظيما. وبذلك أثنى الله عليه في الكتاب الكريم فانظروا الى هذا الرجل كيف يترك نفسه وأولاده وامرأته دون طعام ويؤثر ضيفه بما عنده ويضن به على نفسه وأهله تحقيقا للأخوة الإنسانية .

فنحن اذا دعونا لتخفيف الوطأة عن هؤلاء المنكوبين بأن نستقبلهم بالعطف والبشر وأن نواسيهم في بأسائهم ونخفف عنهم ضراءهم وأن نقال متاعبهم وآلامهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، فنساعدهم في إيجاد مأواهم إن لم نستطع إيواءهم ونعينهم في الحصول على طعامهم إن لم نستطع إطعامهم، وإن لم نستطع هذا ولا ذاك فكلمة طيبة، فليكن كل منا أخا للمهاجر وأبا للصغير منهم ولتلن القلوب لهم، ولنبذل من نفوسنا وأموالنا وجهودنا وما وهبنا الله في سبيل راحتهم. وحسبنا في مواساة هؤلاء المهاجرين ومعاملتهم ما جاء في كتاب الله الكريم اذ يقول جل شأنه :

"لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ".

ففي هذه الآية الكريمة يخص المولى سبحانه وتعالى الفقراء من المهاجرين، وفي هذا أبلغ دليل على ان القادر يجب أن يأكل من ماله أو عمل يده. وفي الاية ثناء على الأنصار فاستقبالهم المهاجرين بالعطف والحنان وإيثارهم لهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة : أي فقر. وكذلك في الآية ما يؤيد أن الإيثار علامة النجاح والفلاح، فلا ينبغي أن نتنكر لهم ولا نتخلق بخلق الأنانية والآثرة. ولقد أعجبت بالفكرة التي أبداها معالي وزير الوقاية في منشور أذاعه يحض فيه بعض الأهلين الذين يقطنون في مساكن يمكن أن تتسع لإيواء بعض المهاجرين : فذكر أنه يجب عليهم أن يضغطوا أنفسهم في بعض بيوتهم ويفسحوا البعض الآخر لإيواء المهاجرين. وجدير بنا أن نعلم أن خير الإنفاق ما كان من أحب الأشياء الينا :

"لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ" .

فلا يقصر الجود على الفاسد أو التالف حتى لا نكون ممن قال الله فيهم :

"وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ" .

ذلك واجب الشعب نحو المهاجرين، أما واجب المهاجرين نحو الشعب : فعلى المهاجر أن يضع نصب عينيه أنه يعيش عيشة مؤقتة وأنه فى ظرف استثنائى لا يلبث أن يزول وأنه يشارك شخصا آخر غريبا عنه فى منزله أو طعامه، بخدير به ألا يطمع فى الراحة كلها وألا يصم أذنه عن واجب اللياقة والذوق السليم والمجاملة وأن يتغاضى عن الفوارق الاجتماعية : فلا يجعل من الضيافة سببا يؤذى المضيف فيحمله ما لا يطيق، بل يكون حسن المعاملة يحمل الناس على حبه وعدم التأذى من وجوده كما أنه يجب عليه ألا يدخر وسعا فى تحصيل قوته بكل الوسائل الممكنة والطرق الموصلة الى ذلك فلا يتكاسل ارتكانا على مدد يصل اليه أو طمعا فى معونة ينالها من جهة من الجهات .

وبهذه المناسبة يجدر بى أن أنوه بما نبه اليه معالى وزير الوقاية فى هذا الصدد وهو أن بعض المهاجرين يؤثرون أن يقعدوا عن العمل معتمدين على كرم الشعب وإنفاق الحكومة عليهم وقياما بشؤونهم متجاهلين أن لكل هذا طاقة واحتمالا محدودين فقد بين لهم أنه يجب عليهم أن ينشطوا لطلب الرزق وأن يلبوا نداء العمل ، بخدير بهم أن يعملوا بقول عمر رضى الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى فقد أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . فعلى المهاجر أن يطلب رزقه ما استطاع وأن يضغط نفسه فلا يتغى المتعة كاملة وأن يفضل الأكل من عمل يده والكسب بعرق الجبين ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده .

فى مثل هذه الظروف الدقيقة يجب أن تبدو شجاعة المصريين فى أروع مظاهرها وأسمى صورها، تلك الشجاعة التى امتاز بها المصريون من قديم العصور وما زالت تملأ القلوب وتفعم الأفئدة يعمر قلوبهم الإيمان القوى بأنه ما من خير أو شر يصيبهم إلا بأمر الله ولا مفر مما كتب لهم ففيم الجزع وعلام الذعر .

وها هى الحكومة قد أعدت فى الاسكندرية من المخابىء عددا وفيرا لوقاية الأهالى من المدنيين، ولم تقصر فى شأن من شؤون الوقاية من حيث إنشاؤها أو الدفاع عن المدينة مما خفف آثار الإغارات إلى حد كبير وهى تسارع إلى إزالة آثار الإغارات الماضية بما تستطيع من الوسائل وتدبره من شؤون الوقاية والمحافظة على الأرواح والأموال إذ لا معنى لأن يقف الناس أعمالهم ويهجروا مصادر رزقهم وكسبهم، بل يجدر بهم أن يستمروا فى عملهم ويداوموا نشاطهم فالعمل هو ميزة الحياة وضرورة من ضروريتها، تكون الحياة بدونه تافهة مملة وتبدو فراغا لا نفع فيه ، والعمل واجب الإنسان فى أية بقعة من الأرض سواء فى الاسكندرية

أو فى غيرها فلا خير فى حياة التعطل والكسل ، ولا أرى فى الشخص الذى يقبل أن يعيش عالة على غيره أو أمته أو من النسول أية ناحية من نواحى الرجولة الحقة والمروءة والهمة ، ومن لاعمل له لا خير فيه ، فتلك السواعد الفتية وهؤلاء الرجال الأشداء هم الذين يبنون الحضارة والمدنية . فالإنسان، هو الذى ينشىء المدنية لا المدينة هى التى تنشىء الإنسان . وقد قامت الحكومة بالرغم من ذلك فى فترة قصيرة بما أسعفت به المنكوبين وأنقذت به الكثير من الأرواح والأموال ، فندبت كثيرا من خيرة الموظفين وعبأت جمهورا كبيرا من العمال وأوفدت كثيرا من الإخصائيين حتى استطاعوا فى أقصر وقت الوصول إلى أكبر نتيجة.

وإنه ليجمل بنا بعد كل ذلك أن نتفرغ لجليل من الأمور وأن نترك النقد الذى لا فائدة فيه ولا طائل تحته وأن نقوم بواجبنا ونلبى الدعوة إلى الاشتراك الفعلى فى الإنقاذ، وعلينا أن نبث الحزم والشجاعة فى النفوس الضعيفة ونقوى من عزائم المنكوبين فهذا هو دورنا الذى يليق بنا أن نؤديه ونستحق عليه الشكر والثناء .

إن ما يجيش بصدر المهاجر من الآلام بعضه سببه الذعر المبالغ فيه ، والبعض الآخر سببه المتاعب التى صادفها فى أول هجرته ولا تلبث أن تزول بعد استقراره وإن ما يخالج جمهور الشعب فى المدن المهاجر إليها من خواطر مقلقة نتيجة ما يشاهده من تدفق سيل المهاجرين لا تبقى طويلا فسرعان ما تتضح لهم الحقيقة التى لم تكن تستدعى كل هذه الضجة . والآن وقد بدأ النظام يأخذ دوره وعادت الإجراءات الفعالة إلى وضعها الصحيح . فوضعت الأنظمة الدقيقة لضمان سير الحياة العادية المثمرة وجب علينا أن نركن إلى العمل ونلبى نداء الضمير والوطن .

ومما يجدر ذكره ويجب لفت الأنظار إليه أننا نجتاز الآن ظرفا استثنائيا قد تنتهى ضرورته فى أية لحظة، ومتى أدرك الكل ذلك — سواء المهاجرون أو الشعب — قل تضيق صدور أحد الفريقين بالآخر، فواجب المهاجر هو واجب اللاجىء المؤقت وواجب الشعب هو واجب المضيف الكريم .

إن لنا فيما تفضل به جلالة مليكنا المفدى من زيارته للمناطق المنكوبة وفيضه العميم على المهاجرين لأسوة حسنة ، وما قامت به جلالة الملكة وسمو الأميرات الكريمات من مواساة المنكوبين بأنفسهن فى مهجرهم وما أفضن به عليهم من هدايا والكلمات المواسية المشجعة التى كان لها أطيب الأثر وأجمل الوقع فى نفوس المنكوبين خاصة وعند الشعب كافة لقدوة كريمة وما قامت به كرائم السيدات الفضليات من الاضطلاع بأمر راحة المهاجرين وشؤونهم ، محسنات فى قيامهن بها مخلصات فى أدائها على الوجه الأكمل ، لخير تعزية تقابل بأجمل الثناء . حفظ الله مولانا المليك وأدام عرشه وكتب له العزة ولبلاده السلامة ما

محمود حسيب